التكيف الاجتماعي للفرد الموصلي مع ظروف الحياة المتغيرة
(قبل التحرير وبعده)
دراسة وصفية تحليلية

م. مرح مؤيد حسن*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٧/١٢/١٣
تاريخ قبول النشر ٢٠١٨/١/٢٤

ملخص البحث

يهدف البحث إلى الإجابة عن تساؤلات أهمها، هل استطاع الفرد الموصلي التكيف مع التغيرات السريعة التي حدثت في مدينة الموصل بعد انهيارها سنة ٢٠١٤؟ وهل استطاع إعادة تكيفه بعد التحرير؟ وهل أثرت ظروف الحياة المتغيرة على مسيرة الفرد التنموية؟.

وقد كان من ابرز نتائج البحث امتلاك الفرد الموصلي مرونة كبيرة للتكيف مع التغيرات الفجائية ، إلا أن أفراد المجتمع تعرضوا الى تراجع كبير في مجال التنمية الاجتماعية.

SOCIAL ADOPTATION OF THE MOSULI INDIVIDUAL TO THE CIRCUMSTANCES OF THE VARIABLE LIFE
A DESCRIPTIVE AND ANALYTICAL STUDY

Lect. MARAH MUAYAD HASAN

abstract

The research aims at answering about questions the most important of which could the Mosuli individual adapt to the quick changes which accord in the city of Mosul after its decline in 2014? Could he re-adopt after liberation ? Did the circumstances of the variable life affect on the developmental individual s march?

One of the most prominent results of the research is that Mosuli individual has considerable flexibility to adopt to the sudden changes

* مدرس، قسم الدراسات التاريخية والاجتماعية، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

:but members of the society subjected to a considerable retraction in field of the social development.

المقدمة

يعد التغير سنة من سنن الحياة، والمتتبع لحركة المجتمعات الحديثة يجد أن كل شيء في عالمنا يتغير ويتحرك، وهذا ينطبق على الأفراد والجماعات والشعوب والمجتمعات والأفكار والمبادئ والقيم فتُقلب الأوضاع وتُعاد الحسابات فكل شيء يسير ويتحرك.

ويعد الإنسان اكثر الكائنات قدرة على التكيف مع التغيرات المختلفة مقارنة ببقية الكائنات، فهو مخلوق اجتماعي يتميز بامتلاكه عقلا ووعيا يميزه عن غيره من الكائنات وبالتالي فهو يبذل جهدا في البحث عن وسائل تساعده على التكيف مع بيئته ومواجهة الظروف المختلفة. أي أن امر التكيف في هذه الحالة لا يتم بصورة فطرية غريزية كما هو الحال في النباتات مثلا بل انه عملية ديناميكية تهدف إلى إحداث تغيير في السلوك ليكون الفرد اكثر توافقا وتلاؤما مع البيئة والواقع المحيط.

وعلى صعيد اخر يعاني مجتمعنا العراقي مشكلات وأزمات جمة إذ انه ما أن يخرج من صراع إلا ويدخل في اخر سواء أكان سياسيا ام اقتصاديا ام اجتماعيا الأمر الذي يجعل هذا المجتمع يبحث عن اشكال تكيفيه مختلفة يقاوم بها ظروفه ويتلائم مع بيئته المحيطة بغية استمرار الحياة عبر بدائل متنوعة.

هذه التكيف تم معالجته في هذا البحث بالدراسة والتحليل ضمن حدود مدينة الموصل التي واجهت تغييرات مجتمعية كبيرة في مجالات الحياة المختلفة مما اضطر الفرد الموصلي إلى التكيف مع تلك التغييرات عبر وسائل وأساليب عدة بغية استمرار الحياة.

فقد قسم البحث إلى مباحث لتنظيم الدراسة، المبحث الأول تناول تحديد أبعاد البحث من تحديد لمشكلة البحث وأهدافه وأهميته للمجتمع، فضلا عن تحديد نوع البحث وادواته المستخدمة ومجالاته ومن ثم تم تحديد المفاهيم والمصطلحات المهمة الداخلة فيه ليسهل فهمها.

وجاء المبحث الثاني تحت عنوان ثلاثية التغيير والتكيف والتنمية ليتناول نظريا تلك المفردات العلمية ويوضح أهم ما قيل عنها ومما يخدم البحث مستندين في ذلك إلى المصادر والمراجع العلمية.

أما المبحث الثالث فقد خُصص لوصف وتحليل هذه الثلاثية وكيف سارت في مدينة الموصل كون الباحثة احد أفراد المدينة وقد عاشت وعاصرت أحداثها وتغييراتها وراقبت وشهدت تكيف الأفراد لها.

وقد قسم هذا المبحث إلى فقرات تناولت التغييرات والتكيي الجديدة لهذه التغيرات في مجال العمل والدخل، السكن، التعليم، مستلزمات الحياة من ماء وكهرباء ووقود وملبس، والاتصال بالعالم الخارجي.

وأخيرا عرضت النتائج التي توصل إليها البحث ومن ثم وضُعت التوصيات والمقترحات ضمن المبحث الرابع.

المبحث الأول: أبعاد البحث

تحديد مشكلة البحث

انطلقت مشكلة البحث من أن الإنسان يعيش في مجتمعه حياة مستقرة قد تكيف مع أنشطته وسلوكه وعاداته وثقافته وسار وفق متطلبات مؤسسات المجتمع بما يحقق له تحقيق أهدافه وخططه المستقبلية، ولكن في حدود مجتمعنا الموصلي الذي حدثت فيه تغييرات سريعة استثنائية قلبت الموازين وأحدثت أزمة مجتمعية وذلك بعد انهيار المدينة منتصف ٢٠١٤ على يد جماعات الفكر المتطرف وما أعقبها من معارك لتحرير المدينة، هذه التغييرات شملت المسكن والملبس والحالة المادية والتعليم وحتى القيم و المعتقدات، أي أنها غيرت كل مفاصل الحياة .

فهل استطاع الفرد الموصلي التكيف مع هذه التغييرات السريعة والظروف المستجدة قبل التحرير ولو بصورة مؤقتة أم قاومها؟ وهل استطاع الفرد الموصلي التكيف مع التغييرات السريعة والظروف المستجدة ايضا بعد التحرير؟ وهل اثر التكيف الجديد على تحقيق أهدافه وطموحاته سلبا وبالتالي على كافة مجالات التنمية الاجتماعية ؟ .

أهداف البحث

يهدف البحث إلى :-

١-محاولة كشف مدى استطاعة الفرد الموصلي التكيف مع التغييرات السريعة التي حدثت في مدينة الموصل بعد انهيارها سنة ٢٠١٤ على يد جماعات الفكر المتطرف.

٢-محاولة كشف مدى استطاعة الفرد الموصلي على إعادة تكيفه مع التغييرات التي حدثت في مدينة الموصل بعد التحرير.

٣-التعرف على تأثير ظروف الحياة المتغيرة وتكيف الأفراد لها غلى مسيرة الفرد التنموية؟

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث فيما يلي :-

١- انه يتناول موضوع شائع وهو التكيف الاجتماعي ولكن بخط سير معاكس للمألوف فغالبا ما تدرس تكيف الأفراد خارج أوطانهم او مجتمعاتهم الصغيرة ويدرس هنا داخل مجتمعه الاصلي.

٢- يعد إضافة علمية يمكن ان تغني الباحثين في حقل التنمية الاجتماعية والتغير الاجتماعي او الباحثين في شؤون مدينة الموصل

٣- يتناول مدينة الموصل وأفرادها بالدراسة والبحث بعد خروجها من أزمة اجتماعية كبيرة حيث الحاجة إلى تقويم وتصحيح المسار عن طريق البحوث التي من الممكن الاستفادة منها مستقبلا.

نوع البحث

يعد البحث من البحوث الوصفية التحليلية تم فيه وصف وتحليل مدى استطاعة الفرد الموصلي على التكيف في ظروف متغيرة سريعة وتحليل ذلك وكشف مدى تأثيره على التنمية ،

ادوات البحث

لكون الباحثة احد افراد مجتمع البحث ولكونها شاهدت وعايشت الظروف والتغييرات التي مرت بها مدينة الموصل فقد اعتمدت على الملاحظة والملاحظة بالمشاركة كأدوات للحصول على الملومات التي تخدم البحث، هذا فضلا عن الاستعانة بالادبيات والمصادر التي تدعم موضوع البحث.

مجالات البحث

المجال المكاني / مدينة الموصل

المجال البشري / افراد المجتمع الموصلي

المجال الزماني / من ٢٠١٧/٩/١ الى ٢٠١٧ /١٢/١

تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية

التكيف الاجتماعي

يعرف التكيف بأنه عملية التغير وفقا للظروف التي تحيط بالفرد او تبعا لمتطلبات البيئة الطبيعيه والاجتماعية [١].

وهذا التعريف يعرض التكيف بشكل عام فقد يشمل التكيف العضوي او الوظيفي في جسم الفرد او يشمل التكيف الاجتماعي الذي يشمل سلوك الإنسان وعاداته وتقاليده وبيئتة ووظيفة المؤسسات الاجتماعية وهذا مايخص بحثنا .

ويعرف التكيف الاجتماعي بأنه الاستعداد والقدرة على التغيير والتعامل مع الظروف الاجتماعية المختلفة والاستجابة لمستجدات الحياة وما تحفل به من متغيرات اجتماعية جديدة والقدرة على التعايش مع المجتمع الجديد بأفراده وعاداته وتقاليده والقوانين التي تنظم علاقات الأفراد بعضهم ببعض [٢] .

والتكيف الاجتماعي هنا يكون على أنواع [٣] :-

التكيف الزمني / ويقصد به القدرة على الاستمرار لفترة طويلة من الزمن

التكيف الجيلي / وهو القدرة على الاستمرار مع تعاقب الأجيال

التكيف الوظيفي / ويقصد به قدرة المؤسسة على إجراء تعديلات في أنشطتها للتكيف مع الظروف المستجدة .

وبجانب مصطلح التكيف الاجتماعي مصطلحات أخرى مثل التأقلم الاجتماعي والتطبيع الاجتماعي والاندماج الاجتماعي وكلها تتشابه في معناها العام وتختلف في بعض الجزئيات .

وفيما يخص بحثنا فان التكيف الاجتماعي قصد الدراسة هو التكيف الوظيفي لأفراد المجتمع .

ولهذا يمكن أن تعرف التكيف الاجتماعي إجرائيا بأنه قدرة الفرد الموصلي على التعايش والتأقلم مع ظروف الحياة المتغيرة السريعة من خلال تغيرات في السلوك والأنشطة اليومية او في إحداث تغيرات في البيئة الاجتماعية المحيطة به.

التغير الاجتماعي

يعرف التغير الاجتماعي بأنه كل تحول يحدث في النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية من الناحية المورفولجية او الفيسولجية خلال فترة زمنيه محدده [٤]

او هو التغير الذي يحدث في الشكل البنائي أو الدور الوظيفي للنظام الاجتماعي نتيجه مدخلات معينه إلى المجتمع [٥] .

اما التعريف الاجرائي للتغير الاجتماعي فهو كل تحول او تبدل تعرضت له المؤسسات المجتمعية في مدينة الموصل ووظائفها والتي ادت الى تكيف الافراد لهذا التتغير.

المبحث الثاني / ثلاثية التكيف والتغيير والتنمية

عادة ما يتكون المجتمع من مجموعة من الأفراد يعيشون معا بشكل منظم تربطهم قيم وثقافة مشتركة وعلاقات اجتماعية ويعملون على إشباع حاجاتهم الفردية والمجتمعية كالحاجة إلى الطعام والسكن والملابس والمياه النقية ووسائل التعليم والصحة وحاجات غير مادية كحق المشاركة والحرية والعدالة الاجتماعية وغيرها .

وهذه المجتمعات تحاول باستمرار تطوير نفسها او تغيير حياتها نحو الأحسن من خلال ما يعرف بعملية تنمية المجتمع لإشباع حاجات أفرادها، حيث أن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي اعتمد على مؤشرات الحاجات الإنسانية لقياس التنمية لأي مجتمع، والعراق من أمثلة تلك المجتمعات التي حاولت تطوير نفسها ومدينة الموصل إحدى مدنه، فقد شهد تقدما واضحا في مجال تنمية المجتمع وإشباع الحاجات في نهايات القرن العشرين حيث شهد المجال الاجتماعي نسبة نمو بمقدارها ٥،٨% في التعليم والصحة وتزايد نصيب الخدمات الاجتماعية بمعدل سنوي بلغ ١٠% [٦] وغيرها الكثير .

غير أن دوام الحال من المحال فالحروب والثورات السياسية والدينية والتحضر وتنوع وسائل الاتصال كلها عوامل أحدثت تغييرات في المجتمعات ومنها مجتمعنا. وقد تكون لها آثارا ايجابية او سلبية حسب طبيعة العامل المسبب للتغيير، فالتغيير في المجتمع وظروفه حقيقة حتمية ينتج عنه مجتمع جديد، ذلك المجتمع الذي عرفته مريم احمد مصطفى بأنه "هو نمط من المجتمع نشأ بفعل ظروف اجتماعية معينة او تلبيه لسياسة معينة او نتيجة برامج مخططة من اجل مواجهة مشاكل الكثافة السكانية او تطوير الإنتاج او تغيير أساسي يراد إدخاله على المجتمع القائم بتحريك بعض عناصره" [٧] .

وهذا ما حدث لمجتمعنا العراقي من ضمنه مدينة الموصل، اذ مرت وشهدت تغييرات كثيرة منها ما تعرضت له البلاد من حصار اقتصادي وحروب وغزوات خارجية وانقسامات داخلية أدت إلى تكوين مجتمع جديد هش يحتاج من أفراده ومؤسساته التكيف والتأقلم مع مستجدات الحياة الجديدة لاستمرار الحياة، ومن ثم التقدم فيها وتنميتها.

والتكيف بمعناه الواسع هو قدرة الفرد على البقاء حيا في ظل اقسى الظروف الطبيعية والبايولجية والاجتماعية، وللتكيف عاملان أساسيان هما الاستيعاب، ويقصد به القدرة على تحفيز الحواس لاستيعاب كل ما حوله من البيئة الجديدة من قوانين وأنظمة وتراكيب ونظم اجتماعيه

وتعليمية وقانونيه ومحاولة فهمها وتنظيمها بشكل يتناسب مع المخزون التاريخي للفرد في بيئته السابقة فيحاول أن يحذف بعضا منها ليجعل الخبرة القديمة تلائم متطلبات العصر الجديد، أما العامل الثاني فهو التمثيل ويقصد به قدرة الفرد على تفسير استيعابه وفهمه وإعادة بثه إلى البيئة الجديدة على شكل سلوك مقبول في نطاق المجتمع الجديد [٨] .

وقد تقاوم المجتمعات التغيير ولا تتكيف عندما يكون مفروضا عليهم من الخارج، او عندما لا يشارك أفراده في المناقشة والتعليق خاصة في مراحله البنائية كأن يأتي التغيير من قوة محتلة مثلا، لكن المصدر الرئيس للرفض يكمن في عدم فهم أعضاء المجتمع لمعنى التغيير، وعدم قدرتهم على استيعاب ضروريته وجدواه، ونجد احيانا أن مقاومة التغيير تتخذ إشكالا عنيفة خاصة إذا ما ظهر التغيير في صورة تخالف تقاليد المجتمع وقيمه حيث يرونه نوعا من الاستفزاز وعدم الاحترام لذا لا يتكيفون معه[٩] مثال ذلك نظام الفرنسة الذي اعتمدته قوى الاحتلال الفرنسي للمغرب العربي.

واضطراب التكيف ينتج عنه عدم توافق الشخص مع البيئة المحيطة به، ومن مظاهره السلوكيات غير الملائمة التي تظهر على الفرد خلال الأشهر الثلاثة الأولى من بداية مواجهته للتغيير، والاضطراب يعد اكثر جدية و خطورة من التكيف إذ ينتج عنه قصور في قدرة الفرد على أداء وظائفه الاجتماعية [١٠] .

ومن مظاهر عدم التكيف مع الظروف الجديدة المتغيرة في المجتمع، الهجرة او النزوح وترك الأعمال والممتلكات والبحث عن مجتمعات أكثر امنا وتلاؤما والبحث عن فرص بديلة، كما حدث مع بعض سكان المجتمع اليمني بعد انهيار السلطة الشرعية وسيطرة الحوثيين على بعض المدن اليمنية [١١] ، وكما حدث في هجرة اغلب سكان سوريا وبعض سكان العراق الى أوربا بحثا عن الأمان وعيش الكفاف بعدما تعرضت مجتمعاتهم إلى الحروب وانهيارات في البنى التحتية،اذ ان المفوضية السامية للامم المتحدة استلمت عام ٢٠١٥ (١٩٥) الف طلب لجوء عراقي، فضلا عن هجرة الاف العائلات العراقية بطرق غير شرعية[١٢] ، ويبدو ان مسار رفض التكيف موجود عبر التاريخ، ففي مدينة فاس المغربية غادر ميسوري الحال المدينة بعد ان تولى عليهم احد السلاطين والذي فرض عليهم الزكاة والضرائب ونهج سياسة التفرقة بين مكونات المجتمع[١٣] .

وبالعودة إلى التنمية الاجتماعية وهل أثرت ظروف الحياة المتغيرة وتكيف الأفراد لها على مسيرة الفرد التنموية، نستطيع القول أن عملية تنمية أي مجتمع تحتاج إلى مؤسسات ونظم كما تحتاج إلى أنماط تنسق وتدعم أنشطته، ومجتمعنا تعمه الفوضى في كل ذلك، كما أن الآثار المادية للحروب والأزمات القوية يمكن أن تنتهي طالما يتمكن المجتمع أو الدولة من الخروج منها وإتمام عملية الأعمار، لكن الآثار الاجتماعية للحرب لا نهاية قريبة لها، حيث إنها يمكن أن تمتد لأجيال لاحقة ولعشرات السنين، كذلك إن تأثيراتها الإنسانية والأخلاقية على المجتمع والعلاقات العامة هي المشكلة الأكثر تعقيدا لأنها تبقى إلى أمد طويل(١٤) .

ولهذا فان عملية التكيف الحاصل للأفراد في المجتمع الموصلي هي محاولة للوصول إلى مستوى الحياة الطبيعي الذي كانوا عليه وليس التاقلم والتعايش مع تطورات العصر في مسيرته، وهذا يوقف من عجلة التنمية ويجعلها تدور في الفراغ، فالسلبيات المستجدة كثيرة وتحتاج إلى ترميم وإعادة بناء أولا وهذا ما أكده الدكتور عدنان ياسين عندما تعرض المجتمع العراقي الى انتكاسات الحروب والدمار الذي لحق به، إذ ذكر أن التنمية في أحسن حالاتها هي محاولة للتخفيف من احتمالات الانفجار المجتمعية بل ان العمل الاجتماعي بدأ يتراجع بشكل واضح وتدهورت أوضاع البيئة، وازدادت مصادر تهديد الأمن الاجتماعي وظواهر السلوك المنحرف والرشوة والفساد الإداري وازداد عدد الأرامل والمعوقين إلى آخره (١٥) .

المبحث الثالث / وصف وتحليل (تكيف الفرد الموصلي مع ظروف الحياة)

اعتاد الباحثون على دراسة موضوع التكيف الاجتماعي لشريحة من الناس تغيرت حياتها بسبب انضمامها إلى مجتمع جديد لم يكن لها سابق معرفة به، أو لم تتعايش مسبقا معه، كدراسة تكيف الطلبة الجدد في المدرسة أو تكيف المهاجرين مع مجتمعات الهجرة وما إلى ذلك.إلا أننا في هذا المبحث سنتناول حالة استثنائية هو تكيف الفرد مع مجتمعه الذي يعيش فيه لسنوات طويلة، فالفرد الموصلي في مدينة الموصل مر بظروف وتغييرات سريعة وصعبة بعد الحياة الطبيعية التي كان يعيشها وذلك بعد انهيار المدينة التام بعد احداث ١٠ حزيران ٢٠١٤ على يد جماعات الفكر المتطرفة، مما أدى إلى حدوث تغييرات كبيرة في كل المؤسسات الاجتماعية الصحية والتعليمية والأسرية والدينية وفي نسق القيم وطرق العيش وفي العمل وفي مجالات الملبس والمأكل وفي كل جوانب الحياة صغيرها وكبيرها، فضاعت خطط ورؤى

رسمها الأفراد لمستقبلهم وتطوير حياتهم، وتركت ورائهم مخلفات وسلبيات جمة اجتماعية واقتصادية وأخلاقية، وأخرت وأوقفت برامج وأنشطة عديدة..

فأننا في هذا المبحث سنحاول توضيح ما هي السبل التي اتبعها الفرد الموصلي في التعايش والتكيف مع هذه المتغيرات، وهل نجح في تكيفه؟ .وبعد معارك التحرير وجد الفرد الموصلي نفسه أمام تغيرات سريعة أخرى طالت أيضا مؤسسات المجتمع كلها ونظمه، فهل أعاد تكيفه وما هي السبل المتبعة لتحقيق ذلك؟ وما هي الآثار المترتبة من ذلك على التنمية. واتوضيح ذلك قسم المبحث إلى محاور حسب التغييرات الحاصلة وكالاتي:-

١- التغييرات في مجال العمل والدخل والتكيف الجديد

بعدما كان لكل فرد موصلي عمل معين يقوم به سواء على مستوى العمل الحكومي ام الخاص، وجد اغلب الموصليون أنفسهم فجأة بدون عمل، إذ انهارت المؤسسات الرسمية وتوقف العمل بها وأخذت المؤسسات تلك تُدار من قبل الجماعات المتطرفة فتوقف الكثير من الموظفين عن الالتحاق بأعمالهم تبعها توقف الدولة عن دفع الرواتب للموظف وصدور التعليمات بادخار رواتبهم حسب مشروع الادخار الذي قدم إلى مجلس النواب لحين تحرير المدينة[١٦]، ففقد عدد كبير من الموظفين مصدر رزقهم الوحيد.

أما بالنسبة للأعمال الحرة او الخاصة فقد تأثرت هي الأخرى، فانقطاع الدخل هذا أدى الى انخفاض المستوى الاقتصادي للمدينة مما اثر على النشاط التجاري والعمراني والصناعي فقل العمل عند أصحاب الأعمال الخاصة مما ترك أثاره السلبية على مستواهم المعاشي أيضا، فضلا عن أن الجماعات المتطرفة قد أوقفت عمل بعض المهن أو ضيقت الخناق عليها بحجة تحريمها أو لأنها لا تتناسب وتشريعاتهم مثل صالونات التجميل النسائية ومحلات بيع الألبسة ومهنة المحاماة وما إلى ذلك، وهذا ما لاحظته الباحثة من خلال المعايشة الميدانية للظروف التي مرت بها المدينة.

وبما أن اغلب العاملين هم أصحاب عوائل او معيلين لأسرهم او حتى لأنفسهم كان لابد لهم من التكيف مع الوضع الجديد لاستمرار الحياة والحصول على مصدر للرزق، فحول بعض الأفراد أعمالهم إلى أعمال أكثر دخلا مثلا تحول بائع الملابس إلى بيع المواد الغذائية، وعمل استاذ الجامعة سائق أجرة، وموظف آخر عمل بالحدادة وهكذا، في حين اعتمد عدد آخر من الأفراد ممن لم يجدوا فرصة العمل على الآهل والأقارب وخصوصا من المتقاعدين، إذ أن

الدولة استمرت في صرف رواتب المتقاعدين التي أصبحت المتنفس الوحيد لشريحة واسعة من الأفراد حيث قام الأهالي باقتسام رواتبهم التقاعدية مع أولادهم وبناتهم ممن فقدوا مصدر رزقهم وأعمالهم، هذا فضلا عن قيام بعض العوائل ببيع مصوغاتها الذهبية ومدخراتها للعيش أو فتح أعمال بسيطة للرزق، وفي أثناء معارك التحرير التي استغرقت أشهر عدة ونتيجة للقصف والمعارك الدائرة بين الطرفين تعرضت الكثير من البنايات والأسواق للتهديم وحُرقت الكثير من البضائع والمحال مما اضطر الكثير إلى البحث عن آماكن عمل جديدة وخاصة أصحاب المحلات من الجانب الأيمن التي دُمرت نسبة كبيرة منها مما اضطر أصحابها للانتقال إلى الجانب الأيسر وإيجاد بدائل عمل، مثال ذلك انتقال سوق السمك من منطقة الميدان في الجانب الأيمن إلى منطقة الفيصلية في الجانب الأيسر، وتوزع الصاغة على شكل مجاميع في أسواق مختلفة كسوق النبي يونس او سوق المثنىحسب المشاهدة الميدانية للباحثة، بعد أن كان لهم سوق خاص بهم يدعى سوق الصاغة بالجانب الأيمن، وقد قام قسم من التجار بتحويل بضائعهم الى المنازل وتخزينها خوفا عليها من التدمير أو السرقة أو المصادرة وما إلى ذلك من المشاكل، وبعد التحرير تم استخراجها وإعادة العمل بها أو بيعها.

٢ـالتغييرات في مجال السكن والتكيف الجديد

نتيجة لانخفاض الدخل ومصدر الرزق لكثير من العوائل لم يعد بإمكان عدد كبير من العوائل الاستمرار بالعيش في مساكنهم وتوفير المواد الغذائية الكافية أو دفع بدلات الإيجار إذ كانت من المعوقات التي تعرض لها الفرد الموصلي، فكان الحل أو التكيف الجديد لتفادي هذه الأزمة لجوء عدد من الأفراد إلى الانتقال من مسكنهم إلى مسكن آخر اصغر أو اقل سعرا وتعايش عدد من العوائل في مسكن واحد وتم تقسيم مصاريف العيش فيما بينهم وذلك للتخفيف من ثقل الإنفاق الواقع على كاهلهم، فاجتمع الإخوة في منزل الأب مثلا بعد أن كان كل أخ في سكن مستقل.

من جهة أخرى هناك بعض المناطق السكنية تعرضت للقصف أكثر من غيرها لموقعها ووجود دواوين ومضافات الجماعات المتطرفة فيها مما اضطر بعض الأسر إلى ترك مساكنهم والانتقال إلى مناطق اكثر امنا.

وفي المسكن الواحد تكيف الأفراد للوضع المتأزم الجديد فتخلى بعضهم عن السكن في الطابق العلوي وانتقل إلى الطابق السفلي من المنزل كونه أكثر امنا، وقام آخرون بتحصين

منازلهم بما يستطيعون القيام به خوفا من الضرر وتدمير الحرب، مثال ذلك وضع شريط لاصق على الشبابيك لمنع تناثره من اثر القصف أو حتى بناء جدار أو ما شابه أمام الشبابيك لحمايتها، والمبيت والسكن في أكثر الغرف أمناًاو النزول الى قبو المنزل ان وجد.

وبعد تحرير الجانب الأيسر من المدينة، استقبل ساكنيه أعدادا كبيرة من سكان الجانب الأيمن الذين سارعوا إلى ترك منازلهم وممتلكاتهم والسكن مع أقاربهم أو تأجير مسكن جديد للتخلص من ويلات المعارك، وبالفعل فَقَدَ عدد كبير من سكان الجانب الأيمن مساكنهم الأصلية لاسيما في المنطقة القديمة من المدينة.

ومما لا يخفى عن احد إن المعارك تترك اثارا مادية كبيرة وهذا ما طال مساكن المواطنين ايضا، إذ هدمت أو خربت أجزاء من المنازل نتيجة سقوط الهاونات والصواريخ عليها أو بالقرب منها فقامت معظم العوائل بإصلاح ما تضرر من مساكنهم وتعميرها لاسترجاع الحياة الطبيعية فيها او تأجير وشراء مساكن أخرى.

ان كل ما سبق وصفه من سلوكيات وافعال قام بها الفرد الموصلي في وقت الازمة هو دليل على قدرته على مواجهة المواقف الصعبة والتصدي لها اي انه في حالة تكيف مستمر للتغيرات المستجدة.

٣ـ التغييرات في مجال التعليم والتكيف الجديد

تعرض قطاع التعليم حاله كحال باقي القطاعات إلى انهيار مؤسساتي بعد أن تسلمت الجماعات المتطرفة ملف التعليم في المدينة، غير أن أفراد المجتمع لم يستسلموا للوضع الجديد، فقام عدد كبير من الأهالي الى النزوح لمحافظات أخرى وذلك من اجل إلحاق أبنائهم في المدارس والجامعات هناك والاستمرار بأداء مسيرتهم التعليمية.

إلا أن الباقين في المدينة استمروا بإرسال أبنائهم إلى المدارس في الفترة التي استمرت تلك المدارس بتدريس المناهج الحكومية، ولكن توقفوا عن ذلك بعد التغيير الذي حصل للمناهج من قبل الجماعات المتطرفة وخوفا على الأبناء من الأفكار الهدامة لم يبق في المدارس إلا العدد القليل، وعلى الرغم من ذلك فقد تم تعويض الوقت المهدور دون دراسة بتعلم أمور أخرى في المنزل حيث استغلت الفتيات أوقاتهن بتعلم الخياطة والحياكة حتى غدت تعلم الحياكة ظاهرة في المجتمع الموصلي وذلك بالعودة إلى الانترنت الذي كان لايزال يعمل إلى ذلك الحين، كما

وقامت بعض الأسر بتدريس أبنائهم بأنفسهم وخاصة طلبة المرحلة الابتدائية خوفا عليهم من نسيان المعلومات التي اكتسبوها سابقا.

وبعد التحرير عاد الطلبة إلى مدارسهم وجامعاتهم وانضموا في صفوفهم غلى الرغم من الخراب الذي لحق بالمدارس وعدم انتظام الأمور والفوضى في مفاصل الحياة وذلك حسب معايشة الباحثة للمدينة، إذ أن وزارة التربية وضعت آليات وحلول لتجاوز الأزمة والخروج منها.

٤- التغييرات في مستلزمات الحياة الرئيسة (ماء، كهرباء، وقود، ملبس) والتكيف الجديد

تقع مدينة الموصل على نهر دجلة، وتعتمد المدينة على مياه الإسالة في الشرب والتنظيف واستعمالات المياه الأخرى، إلا انه بعد أحداث ١٠حزيران ٢٠١٤ تعرضت منظومة المياه الى الخلل أيضا، إذ لم تجرِ عملية تصفية المياه وتعقيمها كما يجب، لذا قام أفراد المجتمع بشراء حبوب مادة الكلور المتوفرة في الأسواق والصيدليات وتعقيم مياه الشرب أو قيام بعض العوائل بغلي مياه الشرب أو تعريضها لأشعة الشمس لتعقيمها، في حين اعتمد آخرون على شراء المياه المعدنية المتوفرة في الأسواق، وتفاقم الوضع سوءا في فترة المعارك الدائرة في المدينة إذ تعرضت محطات الإسالة إلى التخريب والتدمير، وكذلك انقطاع الكهرباء في المدينة أدى إلى انقطاع المياه عن المدينة لتوقف محطات الإسالة عن العمل، فكان التكيف الجديد بحفر الآبار في المنازل إما على شكل انفرادي أو على شكل اشتراك مع سكنة المحلة الواحدة في بئر واحد ويُستخدم لإغراض التنظيف والاستحمام وللحدائق، أما مياه الشرب فكان الاعتماد الكلي على المياه المعدنية، وقد اضطرت بعض العوائل غير المتمكنة ماديا إلى استخدام مياه الآبار للشرب أيضا. وهذا ما قامت الباحثة بملاحظته.

أما في مجال الكهرباء فأن سنوات عديدة مضت لم تكن مدينة الموصل تستلم ما يكفيها من الطاقة الكهربائية الوطنية، اذ كان التجهيز وحسب مصدر في دائرة كهرباء نينوى٦ ساعات يوميا مقابل ١٨ ساعة انقطاع، وقد قامت الحكومة العراقية بقطع الكهرباء نهائيا فترة احتلال الجماعات المتطرفة للمدينة[١٧]، لذا فقد اعتمد السكان على المولدات الأهلية التي تزودهم بالكهرباء وفق وحدات محددة (امبيرات)، ويتم تشغيل المولدة عند انقطاع الكهرباء الوطني، ولكن بعد أحداث حزيران ٢٠١٤ تم قطع التيار الكهربائي نهائيا عن المدينة هذا فضلا عن

تعرض خطوط نقل الطاقة الكهربائية إلى التخريب من قبل الجماعات المتطرفة فأصبحت المولدات الأهلية هي البديل المتاح، إلا أن المولدات واجهت هي الأخرى مشاكل قلة الوقود وغلاء أثمانه وكثرة الاعطال فيها لعدم توفر قطع الغيار أو عدم توفر المولدات الجديدة، وقبل بدأ معارك التحرير تهيأ الفرد الموصلي لمشكلة انقطاع الكهرباء كليا فعاد إلى استخدامات الزمن الماضي وقام بشراء الفوانيس وغيرها من المصابيح التي تعمل بالنفط أو شراء مصابيح الإضاءة التي تعتمد على بطارية الشحن وما إلى ذلك.

وبالنسبة للوقود فلا يخفى عن احد أن الوقود المستعمل في مدينة الموصل هو الغاز السائل والذي يستخدم في الغالب للطبخ، والنفط الأبيض الذي يستخدم للتدفئة فضلا عن استخدام الكهرباء للطبخ والتدفئة والتبريد أيضا، إلا أن الأزمة طالت الوقود أيضا كما طالت جميع مستلزمات الحياة، فارتفعت الأثمان وشحت وساءت النوعية فبدلا من اعتماد الأهالي على الكهرباء لتشغيل الحمامات بدأوا يعتمدون النفط الأسود لرخص ثمنه، وبدل استخدام الغاز في الطبخ الذي وصل سعر القنينة إلى ٤٠ الف دينار استخدم النفط كبديل حيث ظهرت الطباخات النفطية أو ما يعرف ب (الجولة)، واعتمد آخرون على الأخشاب والأوراق لإشعالها واستخدامها في الطبخ والتدفئة، من جهة أخرى اضطر الفرد الموصلي إلى التخلي عن سيارته واستخدامه الدراجة الهوائية او المشي وذلك لارتفاع أثمان الوقود الخاص بالسيارات ورداءة نوعيته، إذ توقفت الدولة عن تجهيز محطات الوقود بالوقود الجيد وبدأ التجار باستيراد الوقود بنوعيات وأسعار مختلفة.

وفي مجال الملبس اضطرت النساء الموصليات إلى التكيف مع الوضع الجديد فارتدت الخمار والسواد ولبس الرجال الإزار القصير• والتزم الفتيان بقصات معينة للشعر وأطالوا اللحى وذلك تماشيا مع تشريعات الجماعات المتطرفة، وبعد التحرير أعاد الفرد الموصلي تكيفه فحلقت اللحية ورُفع الخمار وعاد الوضع إلى حاله السابق في ارتداء الملابس التي اعتاد عليها قبل الأحداث.

• الازار هو ما يلف به الرجل نفسه من الاسفل

٥ـ التغييرات في مجال الاتصال بالعالم الخارجي والتكيف الجديد

حاولت الجماعات المتطرفة إجبار أفراد المجتمع الموصلي على عدم الاتصال بالعالم الخارجي قدر إمكانهم، فمنعوا السفر خارج المدينة إلا بموافقات خاصة منهم وذلك من خلال رهن عقار أو سيارة والتعهد بالعودة بعد فترة يتم تحديدها، وبالفعل استطاع بعض الأفراد التكيف مع هذا الوضع الجديد وسافروا خارج المدينة أو البلد بأكمله للعلاج او لإكمال أعمالهم ومنهم من خرج من المدينة ولم يعد حيث قامت تلك الجماعات بالسيطرة على العقارات التي لم يعد أفرادها، إلا إن الكثير من أبناء المجتمع لم يستطيعوا التكيف مع هذا الإجراء بالذات لصعوبته وخوفا على ممتلكاتهم من الاستيلاء عليها.

من جهة أخرى قُطِعَ الانترنت عن المنازل ورُفعت مستقبلات الانترنت من المنازل بأمر من تلك الجماعات وحُصِر استخدامه بقاعات خاصة، فارتاد أفراد المجتمع هذه القاعات ذكورا وإناثا على الرغم من القيود الموضوعة من قبل تلك الجماعات وهي فصل الرجال عن النساء وذلك من اجل استمرار التواصل الاجتماعي مع معارفهم أو تتبع أحداث المجتمع والعالم الخارجي، ومُنع استخدام الهاتف النقال ايضا وأخيرا مُنعت مستقبلات البث الفضائي (الستلايت)، إلا أن الفرد الموصلي اجبر نفسه على التكيف مع الوضع فخبأت أجهزة الاستقبال في أماكن لا يمكن رؤيتها واستمر في تشغيل أجهزة التلفاز الخاصة به، وزادت الزيارات العائلية تعويضا عن الهاتف النقال.

مما سبق عرضه يتبين أن أفراد المجتمع الموصلي قاموا بحراك اجتماعي عمودي كبير ولكن إلى الأسفل، فالحراك الاجتماعي مصطلح يشير إلى تحرك الأفراد والجماعات بين مواقع اقتصادية واجتماعية مختلفة، والحراك العمودي يعني حركة الأفراد صعودا أو هبوطا على السلم الاقتصادي أو الاجتماعي[١٨] . وهذا يعني أن المجتمع سار إلى الوراء في مجال التنمية، فبدل التغير نحو الأفضل والأحسن والذي يرافق تطورات العصر سار المجتمع وأفراده إلى الخلف في كل مجالات الحياة بتكيفاتهم الجديدة، ثم أنهم عادوا إلى نقطة انطلاقهم الأولى في أحسن الظروف وهنا خسروا أكثر من ٣ سنوات من التقدم والتنمية.

نتائج البحث

١-تعرض المجتمع الموصلي إلى تغييرات جذرية كبيرة في فترة زمنية قصيرة نسبيا (٣سنوات) في جميع مجالات الحياة كالعمل، السكن، التعليم، مستلزمات الحياة "ماء- كهرباء- وقود- ملبس"، وحتى في طريقة التعامل مع وسائل الاتصال الحديثة " الهواتف النقالة- التلفاز وأجهزة الاستقبال- الانترنت" .

٢-امتلاك أفراد المجتمع الموصلي مرونة كبيرة على التكيف مع الظروف المتغيرة الفجائية على الرغم من الصعوبات التي واجهتهم لتحقيق ذلك التكيف.

٣-استطاع الفرد الموصلي إعادة تكيفه من جديد بعد تغير الظروف المحيطة به، إذ أن تكيفه وقتي يزول بزوال المؤثر.

٤-لم تحدث تنمية اجتماعية وتقدم مجتمعي مرتبط بالتغيرات السابقة بل على العكس حدث تراجع كبير في جميع نظم المجتمع، إذ قام أفراد المجتمع بحراك اجتماعي عمودي سلبي الى الاسفل لغرض التكيف الجديد مؤقتا.

٥-استأنف أفراد المجتمع نشاطهم وحياتهم الطبيعية بشكل سريع نسبيا واستمروا بتحقيق أهدافهم وطموحاتهم وخططهم لحياتهم مما يدل على ان المجتمع الموصلي حي يتعلق بالحياة على الرغم من المعوقات التي تعترضهم.

المبحث الرابع / المقترحات والتوصيات

توصلت الباحة الى جملة من المقترحات والتوصيات وكالاتي:-

١- زيادة الاهتمام بمدينة الموصل من قبل مؤسسات الدولة الحكومية وغير الحكومية وتقديم كافة الخدمات لها والتي تساعدها على إعادة التحاقها بالحياة والتطور الذي وصل اليه المجتمع العراقي عامة.

٢- إرسال دعوات إلى المنظمات الدولية التي تعنى بالتنمية البشرية المستدامة كالأمم المتحدة وغيرها لزيارة المدينة والاطلاع على واقعها وتقديم المساعدات لها.

٣-استغلال قدرة الفرد الموصلي على التكيف والحراك وذلك بمساعدته على التكيف والحراك الايجابي من خلال برامج عمل تقدمها مؤسسات المجتمع المدني المنتشرة بالمدينة، إذ بالإمكان تطوير هذا الفرد ليصبح شبيها بالشعوب المتقدمة التي نهضت وازدهرت بعدما مرت بظروف اجتماعية قاسية مثل المانيا وغيرها.

٤- المحافظة على الأمن المجتمعي للمدينة لمنع تعرضه إلى انتكاسات اجتماعية مماثلة وذلك بتوعية أفراد المجتمع بضرورة حماية مدينتهم والتنبه ضد أي خرق مجتمعي.

٥- تعزيز دور وسائل الاعلام في زيادة ثقافة المواطن الموصلي نحو تطوير وتنمية المدينة ومساعدتها للنهوض من جديد.

المصادر

١-عدنان ابو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠، ص١٣٨.

٢- صالح بن محمد الصغير،" التكيف الاجتماعي للطلاب الوافدين في جامعة الملك سعود بالرياض" ، مجلة العلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، مجلد ١٣، عدد ١، جامعة ام القرى، ٢٠٠١، ص٣٣.

٣-حمد شكر العبيدي، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، تشرين الأول، ٢٠٠٠ ، ص٣٣.

٤-عادل مختار الهواري، التغير الاجتماعي والتنمية في الوطن العربي، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٨، ص٤٥.

٥- ابتهال عبد الجواد كاظم، التغير القيمي لدى الشباب في ضوء الحصار الاقتصادي، رسالة ماجستير اداب في علم الاجتماع غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٩٩، ص١٠.

٦- عدنان ياسين مصطفى، التنمية الاجتماعية في العراق: المسارات والآفاق، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، عدد٢٩٥، ٢٠٠٣، ص٧٢.

٧- مريم احمد مصطفى عبد الحميد، التغير والتحدي في المجتمع الجديد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص٩.

٨- لبنى الجادري، التكيف الاجتماعي في ظل المجتمعات الجديدة ٢٠١٠/١٠/٤ www.m.ahewar.org

٩- حسين حسن سليمان وآخرون، الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية مع الجماعة والمؤسسة والمجتمع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٠٤.

١٠-عدنان ابو مصلح، معجم علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٢٧.

١١-محمد الحصيري، " التكيف الاجتماعي في ظل الازمات. المجتمع اليمني أنموذجا"، مجلة العلوم السياسية والقانون، المركز الديمقراطي العربي، عدد٣، حزيران ٢٠١٧، ص٣٠.

١٢- العالم بالارقام عام ٢٠١٥ الموقع الالكتلروني www.m.annabaa.org

١٣- الحاج ساسيوي، ثورات المدن في المغرب الاقصى مدينة فاس في عهد السلطان اسماعيل، historical kan perical ، مجلد٥، عدد ١٧، ٢٠١٢، ص٦١-٦٦، نقلا عن المكتبة العلمية الافتراضية العراقية .www.ivsl.org/ivsl?func=feedback

١٤- حميد كردي عبد العزيز الفلاحي، "الآثار الاجتماعية للحرب على المجتمع، دراسة ميدانية في مدينة الفلوجة"، مجلة الفراهيدي، جامعة تكريت، عدد٢٢، حزيران٢٠١٥ ،،ص٣٧٣.

١٥- عدنان ياسين مصطفى، مصدر سابق، ص٧٣.

١٦-المالية النيابية/ رواتب موظفي نينوى ، الموقع الالكتروني print<permalink<aletejahtv.org

١٧- حكايات من داخل الموصل، جريدة المدى، ١٢/١/ ٢٠١٥ news. Almadapaper. net

١٨- كاوجة محمد الصغير و كوشي ابتسام، " الحراك الاجتماعي وعلاقته بالمتغيرات المجتمعية للمجالات الاجتماعية في المدينة الجزائرية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص (الملتقى الدولي- تحولات المدينة الصحراوية)، الجزائر، ٢٠١٣، ص٣٣٧.